بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله المستحق الحمد لآلائه، المتوحد بعزه وكبريائه، والقريب من خلقه في أعلى علوه، البعيد منهم في أدنى دنوه، العالم بكنين مكنون النجوى، والمطلع على أفكار السر وأخفى، وما استجن تحت عناصر الثرى، وما جال فيه خواطر الورى، الذي ابتدع الأشياء بقدرته، وذرأ الأنام بمشيئته، من غير أصل عليه افتعل، ولا رسم مرسوم امتثل، ثم جعل العقول مسلكًا لذوي الحجا، وملجأ في مسالك أولي النهى، وجعل أسباب الوصول إلى كيفية العقول ما شق لهم من الأسماع والأبصار والتكلف للبحث والاعتبار، فأحكم لطيف ما دبَّر، وأتقن جميع ما قدَّر.

ثم فضل بأنواع الخطاب أهل التمييز والألباب، ثم اختار طائفة لصفوته، وهداهم لزوم طاعته، من اتباع سبل الأبرار، في لزوم السنن والآثار، فزين قلوبهم بالإيمان، وأنطق ألسنتهم بالبيان، من كشف أعلام دينه، واتباع سنن نبيه، في جمع السنن ورفض الأهواء، والتفقه فيها بترك الآراء فتجرد القوم للحق وطلبوه، وذكَّروا به ونشروه، وتفقَّهوا فيه وأصَّلوه وفرَّعوا عليه وبذلوه، حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين، وصانه عن ثلب القادحين، وجعلهم عند التنازع أئمة الهدى، وفي النوازل مصابيح الدجى، فهم ورثة الأنبياء، ومأنس الأصفياء، وملجأ الأتقياء، ومركز الأولياء.

فله الحمد على قدره وقضائه، وتفضله بعطائه، وبره ونعمائه، ومنِّه بآلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الذي بهدايته سعد من اهتدى، وبتأييده رشد من

اتعظ وارعوى، وبخذلانه ضل من زل وغوى، وحاد عن الطريقة المثلى.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بعثه إليـه داعيًـا، وإلى جنانه هاديًـا، فصـلى الله عليـه وأزلفـه في الحشـر لديـه، وعلـى آلـه الطيـبين الطاهرين أجمعين.

أما بعد، فإن الله جل وعلا انتخب محمدًا ﷺ لنفسه وليًّا، وبعثه إلى خلقه نبيًّا، ليدعو الخلق من عبادة الأشياء إلى عبادته، ومن اتباع السبل إلى لزوم طاعته، حيث كان الخلق في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يهيمون في الفتن حيارى، ويخوضون في الأهواء سكارى، يترددون في بحار الضلالة، ويجولون في أودية الجهالة، شريفهم مغرور، ووضيعهم مقهور.

فبعثه الله إلى خلقه رسولاً، وجعله إلى جنانه دليلاً، فبلغ ﷺ عنه رسـالاته وبين المراد عن آياته، وأمر بكسر الأصنام، ودحض الأزلام. حتى أسفر الحـق عن محضه، وأبدى الليل عن صبحه، وانحـط بـه أعـلام الشـقاق، وانهشـم بـه بيضة النفاق.

وإن في لزوم سنته تمام السلامة، وجماع الكرامة، لا تطفأ سرجها، ولا تدحض حججها، من لزمها عصم، ومن خالفها ندم، إذ هي الحصن الحصين، والركن الركين، الذي بان فضله، ومتن حبله، من تمسك به ساد، ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل، والمغبوطون بين الأنام في العاجل[١].

(١) هذه المقدمة كتبها الإمام ابن حبان في مقدمة صحيحه انظر ص١٠٠ في النسخة المحققة .

وإني لما رأيت الانتكاسات طرقها كثرت، ومعرفة الناس بأساليب التعامل معها وأنواعها قلَّت، أحببت أن أكتب في هذا الموضوع من أجل تجليته وإبرازه، وجميع ما في ثنايا هذه الرسالة اجتهادات بشرية كتبتها من خلال قناعات شخصية قد أوافق عليها أو أخالف، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي وقلة علمي، فلا تبخل على أخيك بما تلاحظه باتصال أو برسالة.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه.

قاله وكتبه

صالح بن مقبل بن عبد الله العصيمي التميمي

عضو الجمعية الفقهية السعودية، وعضو الجمعية العلمية السعودية

لعلوم العقيدة والأديان والمذاهب والفرق

عنوان المؤلف:

المملكة العربية السعودية

الرياض – ص. ب ١٢٠٩٦٩ الرمز ١١٦٨٩

فاكس وهاتف : ٢٤١٤٠٨٠

الجوال ٠٥٥٥٥٤٩٢٩١

Saleh٣٥@gawab.com

سبب تأليف الكتاب

اتصل بي أحد طلبة العلم وقال لي: أن أحد الشباب انتكس ـ وهذا أمر معروف ومشهور وليس بجديد ـ وقد انتقده زملائه وعنفوا عليه، بل وصل الحال ببعضهم إلى التشهير به عبر الإنترنت وكأنه قد خرج من ملة الإسلام، مع أن ما طرأ عليه لا يعدو أن يكون نقصاً في استقامته، وتباحثت معه في المسألة، فدفعني ما حدث إلى تأليف هذه الرسالة التي أردت من خلالها أن يعلم الشباب المنهج في التعامل مع زملائهم الذين طرأ عليهم تغير في الاستقامة.

المنهج في التعامل مع المنتكس

من الصعوبة أن يُحكم على إنسان بأنـه منـتكس بـدون استقصـاء وتثبـت في الأمر مع نية سليمة وصادقة بحيث لا يكون الهدف هو تتبع العورة، إن الحكم على إنسان أنه منتكس بدون توفر شروط الانتكاس عليه أمر في غاية الخطورة؛ لأن من الناس من يتساهل في هذه المسألة ولا يـتردد بـالحكم علـى أخ لـه في الـدين بأنـه منتكس. وقد لاحظت مع الأسف الشديد أن مفهوم الانتكاس عند بعض الشباب خاطئ لأنـه بمجـرد تغـير عنـد أخ لـه حتـى ولـو كـان الـتغير في حـدود تعـاطي المكروهات، والمباحات والمستحبات يستحق فاعل هـذا عنـده هـذا الوصـف بـلا تردد، وأعطي مثالاً على ذلك عندما يقوم أحد المستقيمين بلبس الكبك أو العقـال يصفه البعض بأنه منـتكس، وهـذه طامـة كـبرى ومصـيبة عظمـى ؛ لأن اللبـاس الأصل فيه الحل والإباحة، وما اعتاده الناس لا يرتقـي لمرتبـة السـنة فضـلاً علـى الوجوب بأي حال من الأحوال ما لم يرد نص بذلك.

الانتكاس الحقيقي: هو ترك الواجبات والإصرار على إتيان المحرمات واستمرائها بحيث تكون ظاهرة جلية يجاهر بها أمام الناس.

أما الوقوع في الذنوب والمعاصي، سواء أكانت كبائر أم صغائر، فإنها لا تعد من الانتكاس طالما تاب عنها صاحبها دون عناد ومكابرة، فليس يسلم من الذنوب والمعاصي أحد، والعصمة لرسول الله ﷺ ولو وصف كلُّ مذنب بالانتكاس ؛ لما بقي على وجه الأرض ملتزم.

والخلاصة: الوقوع في صغائر الذنوب، أو ترك المستحبات مع إتيان المباحات والمكروهات لا يعد متعاطيها منتكسًا، فالأحكام الشرعية مصدرها: الشرع المطهر، وليس الأهواء والأمزجة.

فهناك علامات وآثار تظهر على الشخص تدل على وجود التغير عنده ومنها:

١- مجاهرته بالمعاصي دون خوف أو حياء.

٢- تركه بالكلية للمجتمع الطيب الطاهر والتحاقه برفقة سيئة.

٣- تغير نظرته من الدين وأهله.

كما أن من الأمور التي أحب أن أنبه عليها هو تسرع بعض الشباب بهجران زميلهم المنتكس دونما معرفة بأحكام الهجر ؛ ولذا أحببت أن أبدأ بهذا الموضوع بذكر أحكام الهجر باختصار بسيط يناسب الباب ؛ لأن الهجر ليس محبوبًا في غالب أحواله مع أبناء زماننا، إلا إذا كان المنتكس قد انتكس بسبب شُبه، فإن هجره قد يكون لازمًا حتى لا يؤثر على بقية زملائه، فما أخطر وقوع الشبه على العقول التي قد يلتبس أمرها ولا تتحملها العقول، وخاصة عقول الشباب الصغار؛ كشبه العقلانيين والخوارج.

ولذا أنصح بهجر من كانت انتكاستُه انتكاساتِ شُبه، وهذا كان منهج السلف الصالح كما فعل عمر - رضي الله عنه – مع صبيغ بن عسل الحنظلي الذي كان يتكلم بمتشابه القرآن، وبدأ يشكك الناس به، فأبعده

إلى البصرة ونهى الناس عن مجالسته ومكالمته حتى تاب[١].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: «وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة، بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعًا، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته ؛ لم يشرع الهجر، بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر، والهجر لبعض الناس انفع من التأليف، ولهذا كان النبي ﷺ يتألف قومًا ويهجر آخرين[٢].

مع وجوب الحرص على عدم تطبيقه إلا في أضيق نطاق مع التأكيد على أن يكون دافع الهجر هو حب الله – عز وجل – وطلب رضاه والإخلاص له، والتأكيد على ألا يكون للمصالح الشخصية أو الحسد والانتقام والنيل من الخصوم دور في ذلك، حتى يؤتي الهجر ثماره.

إذن علينا ألا نتعجل بهجره، والتفكير ألف مرة قبل الإقدام، وإذا عزمت على الهجر فاستشر جمعاً من أهل العلم الكبار الثقات حتى تبرأ الذمة أمام الله.

المخاطب بموضوعي هذا هو:

١– من يهمه أمر المنتكس كقريبه وجاره وصديقه وزميله في العمل.

٢– شيخ المنتكس ومدرسه وزميله إذا كان ضمن مجموعة دعوية كحلقات

---

(١) الاعتصام (١/ ١٣٠) وهامشها رقم (٤).

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/ ٢٠٦، ٢٠٧.

التحفيظ والمراكز الصيفية والمراكز الإسلامية.

٣- الملتزم عندما يجد التغير قد بدأ يظهر عليه.

اتبع الخطوات التالية عند دعوة المنتكس ومناصحته وذلك عبر ما يلي:

أولاً: التثبت والتبيُّن:

إذ الواجب عليك أولاً أن تتأكد أن صاحبك أو قريبك قد انتكس.

لأنَّ كثيرًا من الناس يصدقون الخبر بمجرد وروده دون أن يتأكدوا من مصدره وصحته، ودون أن يبذلوا أي جهد لمعرفة حقيقة الأمر هذا إن كان يهمهم، أما إن كان لا يهمهم فعليهم أن يسمعوا لنصحه ﷺ حينما قال: « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[١].

وكم سمع الناس أن فلانًا قد ضل أو انتكس أو فسق أو فجر، وغالب هذه الأخبار شائعات لا أساس لها من الصحة، ويبدأ بعضهم بتناقلها والترويج لها دون التثبت من صحتها، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٢].

لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إنعام نظر. حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب! ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (١٧٣٧)، والترمذي في السنن(٢٣١٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/ ٥٣١)، وحسنه شعيب لشواهده. انظر الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد (٣/ ٢٥٨).

(٢) سورة النور، آية: ١٥.

إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول....

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ أن تقذفوا عرض أخيكم، وأن تدعوا الألم يعصر قلبه وقلب زوجه وأهله ومحبيه.

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تُزَلَزِلُ له الرواسي، وتضج منه الأرض والسماء.

ولقد كان ينبغي أن تجفل القلوب بمجرد سماعه، وأن تحرج بمجرد النطق به، وأن تنكر أن يكون هذا موضوعاً للحديث.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

وعندما تصل هذه اللمسة إلى أعماق القلوب فتهزها هزاً، وهي تطلعها على ضخامة ما جنت وبشاعة ما عملت.. وعندئذ يجيء التحذير من العودة إلى مثل هذا الأمر العظيم.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿ يَعِظُكُمُ﴾ في أسلوب التربية المؤثر في أنسب الظروف للسمع والطاعة والاعتبار. مع تضمين اللفظ معنى التحذير من العودة إلى مثل ما كان: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾.ومع تعليق إيمانهم على الانتفاع بتلك العظة:

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فالمؤمنين لا يمكن أن يكشف لهم عن بشاعة عمل

(١) سورة النور، آية: ٥.

كهذا الكشف، وأن يحذروا منه مثل هذا التحذير، ثم يعودوا إليه وهم مؤمنون[(١)].

وإنك لتعجب من هذه السرعة في النقل مع هذا التحذير الواضح والتهديد الصريح للمتعجل، بل أمر الله بطلب بيان الحقيقة ومعرفة صدق الخبر عند نقله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[(٢)].

وهذه الآية قاعدة أساسية للأمة أفرادًا وجماعات ؛ بألا يقبلوا من الأخبار التي تنقل إليهم ولا يعملوا بمقتضاها إلا بعد التثبت والتبين حتى لا يصيبوا الأفراد والجماعات بسوء، فالعقيدة الإسلامية - ولله الحمد- عقيدة واضحة المعالم، لا تقوم على ظن أو شبهة، لذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾[(٣)].

فهذه الآية تضع منهجًا للمسلم إذا أراد السلامة يوم يلقى الله، بل وإذا أراد أن يمد الله عليه ستره في الدنيا ولا يفضحه في جوف بيته. أوَما يرد العاقل من أهل الإسلام قوله ﷺ: **«بئس مطية الرجل زعموا»**[(٤)].

فعندما تصف أخًا لك بأنه قد ضل وهو ما زال على الهدى مستقيمًا

---

(١) انظر: في ظلال القرآن عند تفسير الآية ١٥ من سورة النور.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم (٥/ ٢٥٤) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٣/ ٤٩٧٢). وانظر الصحيحة (٢/ ٥٤٨).

وسالكًا طريق الحق فقد آذيته، والرسول ﷺ قال لما سئل: أي الإسلام أفضل؟: « **من سلم المسلمون من لسانه ويده**» [(١)].

فهل هذا المسلم قد سلم من لسانك وإيذائك؟ بل عليك أن تحذر من إطلاق هذه الكلمة التي ستقود إلى النار، إلا إذا رحمه الله، كما جاء في الصحيحين أنه ﷺ قال: « **إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها ؛ يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**» [(٢)].

قال ابن حجر في بيان معنى الحديث: « لا يتطلب معناها، أي لا يثبتها بفكره، ولا يتأملها حتى يتثبت فيها فلا يقولها إلا إن ظهرت المصلحة في القول» [(٣)].

الشاهد في كل هذا الكلام أن عليك التقصي والبحث دون إثارة إذا وصلتك مثل هذه الأخبار، وعليك أن تغلب جانب الظن الحسن، ووالله كم من إنسان ذكر من أناس بسوء ثم ظهر لهم خلاف ذلك. وأذكر هنا قصة: جاءنى مجموعة من الشباب، ونقلوا بأن أحد العلماء قد أفتى بفتوى مخالفة لما هو عليه منهج السلف الصالح في قضية من القضايا ؛ فما كان مني إلا أن اتصلت بهذا العالم أثناء وجودهم عندي وسألته عن الفتوى فتعجب واستنكر؛ فقلت: هذا أحد الذين نقلوها هو بجوارى فكلمه، فتخبط الرجل

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان حديث رقم (١٠)، ومسلم حديث رقم (٤٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق باب حفظ اللسان رقم (٦٤٧٧)، وأخرجه مسلم (٢٩٨٨).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٠٨).

في كلامه، ثم قال لي: أحرجتنا مع العالم، فقلت لـه ولزملائـه: ألم تنقلـوا عنـه هذا الكلام؟ قالوا: بلى، ولكن لم نتصور أن تتصل به، فقلت: وهل تريـدونني أن أصدق دون أن أتبين، ثم بينت لهم المنهج الشرعي في مثل هذه القضية.

والخلاصـــة:

إن على مخاطب المنتكس وغيره أن يستمع لهذه النصيحة من صاحب كتاب التثبت عندما قال: «إن على المسلم عدم التسرع في تصديق الأخبار والأنباء التي ترد إليه من الناس أو من وسائل الإعلام قبل التأكد من صحتها أو كذبها، وبخاصة الأخبار التي تأتي عن طريق الواشين »[١].

ثانيًا: أن لا يكون هدفك تتبع عورته:

فالواجب على المسلم الكف عن هذا الخلق السيئ، والذي لا تحمد عقباه يوم القيامة إلا إن تاب أو رحمه الله.

وقد ورد النهي عن التجسس صراحة في القرآن الكريم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) انظر التثبت والتبين في المنهج الإسلامي ص (١٠٢).

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[١].

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: هذا تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ، فقام بذهنه شيء وتكلم به، فلا يكثر منه، ولا يشيعه ولا يذيعه، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، (في الدنيا والآخرة) أي: بالحد، وفي الآخرة بالعذاب الأليم...[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة واستحلاء ذلك بالقلب فكيف بما هو أعظم من ذلك من إظهاره ونقله، وسواء كانت الفاحشة صادرة أو غير صادرة»[٣].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي ـ رحمه الله ـ:

«والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المستتر فيما وقع منه أو اتهم به وهو بريئ منه»[٤].

ومن هذا الباب ـ أيضاً نهي الله ـ جل وعلا ـ عن التجسس وتتبع المستور.

وقال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ:

---

(١) سورة النور، آية: ١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٠٣.

(٣) تفسير السعدي ٥/ ٤٠٠.

(٤) جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٩٢.

قال الفضيل بن عياض: «المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير»[١].

وما أحسن ما قال الناظم:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

واستغن بالله عن كلٍ فإن به غنى لكل، وثق بالله يكفيكا[٢]

قال الله سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[٣].

قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم، فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره»[٤].

قال الألوسي: والنهي في هذه الآية متجه إلى آحاد المسلمين وجماعاتهم بمعنى: ولا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، وتستكشفوا عما ستر الله تعالى. كما قرئ أيضاً بالحاء المهملة (ولا تحسسوا) من الحس الذي هو أثر الجس وغايته، والمراد كما يقول الألوسي على القراءتين: النهي عن تتبع

(١) جامع العلوم الحكم ٢/ ٢٩٢.

(٢) غذاء الألباب ١/ ٢٦٥.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٤) زاد المسير ٧/ ٤٧١.

العورات مطلقاً، وعدوه من الكبائر [١].

فالتجسس المنهي عنه في الآية الكريمة هو: تتبع عورات المسلمين وغيرهم، ومحاولة الوصول إلى معرفتها لإشباع دافع نفسي أو غرض معين.

إن التجسس المؤدي إلى فضح العورات لا تسمح بـه الشـريعة الإسـلامية بحال من الأحوال.

ولذا حذر النبي ﷺ من هذا الخلق المشين.

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة حتى أسمع العواتق في خدورهن.

فقال: « **يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته، يفضحه ولو في جوف بيته**»[٢].

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»[٣].

---

(١) روح المعاني ١٤/ ٢٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم (٤٨٨٠) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣/ ٢٣٧ رقم (١٦٧٥)، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان ١٧/ ١٥٢ (٩٢١٣)، واللفظ له، وقال محقق الشعب: إسناده صحيح كما صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٧٨٦١). وفي الصحيحة حديث رقم (٢٠٦٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه حديث رقم (٢٥٤٦) وأخرجـه المنـذري في الترغيـب والترهيـب وقـال: إسـناده =

وقال ﷺ: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[(١)].

قال الإمام النووي رحمه الله: وفي هذا ستر زلة المسلم والمراد به هنا الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد انتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت أما معصية رآه عليها وهو بعدُ متلبس بها، فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة [(٢)].

٣ـ وفي رواية عند مسلم زاد فيها: «ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة»[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر: «ومن ستر مسلماً» أي رآه على قبيح فلم يظهره

=

حسن ٣/ ٢٣٩. الجزء الأول من الحديث عند أبي داود (٤٨٩٣) من حديث ابن عمر وبعض الحديث عن مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهم، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم مسلم حديث رقم (٢٤٤٢) وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم حديث رقم (٢٥٨٠).

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج «شرح النووي» ١٥٤٣ في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم عند شرح الحديث رقم ٢٥٨٠.

(٣) انظر صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٩٩ في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(أي للناس)، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم يفت عن قبيح فعله ثم جاهر به، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع منه شيئاً، فلو توجه إلى الحاكم وأقر لم يمتنع ذلك، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب الإنكار عليه وإلا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة، وفيه إشارة إلى ترك الغيبة لأن من أظهر مساوئ أخيه لم يستره [١].

قال ﷺ: «من ستر على مؤمناً عورة فكأنما أحيا موؤده»[٢].

وقال ﷺ: «**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم**»، وقال أبو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله بها[٣].

بل انظر إلى موقفه ﷺ من صحابي لم يستر على أخ له حيث أخرج أحمد في المسند وغيره عن نعيم بن هزال: أن هزالاً كان قد استأجر ماعزاً بن مالك وكانت له جارية يقال لها: فاطمة، قد أملكت، وكانت ترعى غنماً لهم، وأن ماعزاً وقع عليها، فأخبر هزالاً فخدعه، فقال: انطلق إلى النبي ﷺ فأخبره،

(١) انظر فتح الباري ٦/ ٢٦٢.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٣٧) وقال الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٧).

(٣) انظر سنن أبي داود في كتاب الأدب حديث رقم (٤٨٨٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ١٩٩.

عسى أن ينزل فيك قرآن، فأمر به النبي ﷺ فرجم، فقال النبي ﷺ: «ويلك يا هزال، لو كنت سترته بثوبك كان خيراً لك»[١]. ولم يقل خيرٌ له لأن الأجر العظيم سيكون للساتر على أخيه المسلم.

وفي رواية: «يا هزال، أما لو كنت سترته بثوبك، لكان خيراً مما صنعت به»[٢].

وعن ابن هزال عن أبيه، أن النبي ﷺ قال له: «ويحك يا هزال لو سترته، يعني ماعزا ـ بثوبك، كان خيراً لك»[٣].

وفي رواية عند البغوي: «يا هزال لو سترته بردائك لكان خيراً لك»[٤].

فانظر إلى هذا الحديث العظيم وكيف قال له الرسول ﷺ: «لو سترته لكان خيراً لك ولم يقل له ـ فالأجر العظيم لمن ستر على مسلم فينبغي لمن عرفه أن لا يفرط به».

ولقد طبق الصحابة هذا المنهج بالبعد عن البحث عن مواطن عورات

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٢١٨ حديث رقم (٢١٨٩١) وأخرجه أبو داود حديث رقم (٤٣٧٧) وقال شعيب في الموسوعة: صحيح لغيره ٣٦/ ٢١٨. وقوله فخدعه هزال لأن هزال كان يعلم حد الزنا ويدري أنه إذا ذهب إلى النبي ﷺ سيقيم عليه الحد.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦/ ٢٢٠ حديث رقم ٢١٨٩٣ وقال شعيب صحيح لغيره. انظر الموسوعة ٣٦/ ٢٢٠.

(٣) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (٢١٨٩٥) والحاكم في المسند رقم (٨٠٨٠) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، انظر المستدرك ٤/ ٤٠٣ وقال شعيب في الموسوعة: صحيح لغيره ٣٦/ ٢٢١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٩.

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة ١٠/ ٢٨٣.

الناس طالما أنهم ليسوا أهل سلطة ورجال حسبة.

نعم هنا كان منهج صحب محمد ﷺ مراعاة أصحاب الذنوب وعدم سبهم والشماته بهم وسؤال الله السلامة والستر عليهم وانظر إلى هذا الأمر وتأمل ذلك وهو أن أبا الدرداء رضي الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا نبغضه؟ قال إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي»[(١)].

وهذا ابن مسعود يؤكد هذا المعنى العظيم فقال: «إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، تقولون: اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحدٍ شيئاً حتى نعلم على ما يموت فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيراً، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله»[(٢)].

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ «لو أخذت سارقاً لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله عز وجل»[(٣)].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: لا يستر عبدٌ عبداً في

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم ٢٠٢٦٧ والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٦٢٦٤ وقال محقق الشعب إسناده حسن ١٢/ ٨٠.

(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٣٧ برقم ٣٥٥٩ وعبد الرزاق في المصنف برقم ٢٠٢٦٦ والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٦٢٦٥ وقال المحقق إسناده منقطع ١٢/ ٨٠، ٨١.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١٠/ ٢٢٧.

الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة»[١].

وقال الحسن البصري: «من كان بينه وبين أخيه سترٌ فلا يكشفه»[٢].

وقال العلاء: «لا يعذب الله قوماً يسترون الذنوب»[٣].

قال عوف الأحمسي: «من سمع بفاحشة فأفشاها، كان فيها كمن بدأها»[٤].

قيل لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يَظهر لنا شيء نأخذ به»[٥].

وانظر إلى هذا الخبر الذي جسد به عمر معنى الستر إذ جاءت امرأة إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إني وجدت صبيًّا ووجدت معه قبطية فيها مائة دينار فأخذته واستأجرت له ظئرًا[٦]: وإن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه لا أدرى أيتهن أمه ؛ فقال لها: إذ هن أتينك فأعلمينى ؛ ففعلت ؛ فقال لامرأة منهن: أيتكن أمَّ هذا الصبي؟ فقالت: والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر ؛ تعمد إلى امرأة ستر الله عليها، فتريد أن تهتك سترها؟! قال: صدقت، ثم قال للمرأة:

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله تعالى عليه في الدنيا بان يستر عليه في الآخرة حديث رقم (٢٥٩٠).

(٢) مكارم الأخلاق للحزنقي ص (٤٩٥).

(٣) المرجع السابق ص(٥٠٢).

(٤) الزهد لوكيع ٣/ ٧٦٨.

(٥) انظر سنن أبي داود حديث رقم (٤٨٩٠) والمصنف لعبد الرزاق (١٨٩٤٥) وسنن البيهقي ٨/ ٢٢٤، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ١٩٩.

(٦) أي المرضعة غير ولدها.

إذا أتينك فلا تسأليهن عن شيء، وأحسني إلى صبيهن، ثم انصرف [١].

فانظر إلى عمر كيف أخذ برأي المرأة التي ابتغت الستر على من أخطأت وأقرها على ذلك، وما فعل ذلك عمر إلا لما ثبت عنه عن النبي ﷺ عندما قال لهزال بن ذئاب بن زيد - رضي الله عنه – الذي أشار على ماعز أن يقر بذنبه؛ فقال له النبي ﷺ: «**لو سترته كان خيرًا لك**» وفي رواية، «**ويلك يا هزال، لو كنت سترته بثوبك، كان خيرًا لك** » وفي رواية: «**يا هزال أما لو كنت سترته بثوبك، لكان خيرًا مما صنعت به**» [٢].

والذي أريد أن أخلص إليه: أن على المسلم أن يحرص على ستر أخيه عندما يذهب لمناصحته، لا أن يكون غرضه التجسس واستقصاء الأخبار لينشرها بين الناس، ورحم الله أبا العباس المرهبي حيث أنشد قائلاً:

لا تهتكن من مساوئ الناس ما سترا ... فيهتك الله سترًا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدًا منهم بما فيك [٣]

فعليك عندما تذهب أن تخلص النية لله، وأن يكون همك إصلاحه

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٧/ ١٥٤ (٩٢١٥) وقال المحقق إسناده حسن.

(٢) وجميع هذه االروايات ثابتة كما مر معنا؛ انظر المسند الأحاديث الآتية: رقم (٢١٨٩١)، (٢١٨٩٢)، (٢١٨٩٣)، وأخرجه النسائي في الكبرى مختصرًا (٧٢٧٩)، والطبراني في الكبير ١٢/ ٥٣١، والبيهقي في الجامع ١٧/ ١٤٤ برقم (٩٢٠٦) والحاكم في المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبي. انظر ٤/ ٣٦١، وصححه شعيب، انظر الموسوعة لحديثيه ٣٦/ ٢١٥-٢٢١ وصححه محقق الشعب ١٧/ ٤٧.

(٣) انظر الجامع لشعب الإيمان ١٧/ ١٥٥.

وهدايته ما استطعت، إلى ذلك سبيلاً، حتى لو وجدته بأسوأ مما تصورت فاستر عليه، ولا تظهر بالشماتة أو التشهير به.

ثالثاً: عدم الشماتة به:

أخي الحبيب عليك أن تحمد الله على أن منَّ عليك بالثبات على الهداية، وحماك وحفظك، فلا تشمت به لقوله ﷺ: « **من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً ؛ لم يصبه ذلك البلاء**» [(١)].

قال النووي – رحمه الله –: «يقول بعض أهل العلم أنه ينبغي أن يقول هنا الذكر سرًّا، بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى، لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية فلا بأس أن يسمعه ذلك إن لم يخف من ذلك مفسدة»[(٢)].

فهناك مع الأسف من يقوم بالشماتة والسخرية بأخيه المنتكس ويقوم بتتبع عورته ونشر زلته بين الناس.

كتب سعيد بن جبير إلى أبى السوار العدوي:«أما بعد يا أخي فاحذر الناس واكفهم نفسك، والزم بيتك، وابك على خطيئتك، وإذا رأيت عاثرًا

(١) أخرجه الترمذي في حديث رقم (٣٦٥٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/ ١٥٧ حديث ٥٥٥.

(٢) انظر الأذكار للنووي ص٢٥٨، وتحفة الأحوذي ٩/ ٢٧٦، وفيض القدير ١/ ٤٥١.

فاحمد الله الذي عافاك، ولا تأمن الشيطان أن يفتنك ما بقيت» [١].

بل انظر إلى منهج الصحابة في مثل هذا التعامل ؛ فهذا ابن مسعود – رضي الله عنه – يقول: «إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولوا: اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية فإنا – أصحاب محمد– كنا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم على ما يموت ؛ فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرًا، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله » [٢].

وهذا أبو الدرداء – رضي الله عنه – يؤكد لنا هذا المنهج بما أخرجه عبد الرزاق في المصنف «أن أبا الدرداء مر على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبونه فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي، وقال أبو الدرداء: ادع الله في يوم سرائك لعله أن يستجيب في يوم ضرائك » [٣].

قال حمدون القصار: « إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له سبعين عذرًا، فإن لم تقبله قلوبكم، فاعلموا أن المعيب أنفسكم حيث ظهر لمسلم سبعون

---

(١) انظر الجامع لشعب الإيمان ١٢/ ٨٧ برقم ٦٢٧٢

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٧٩ برقم (٢٠٢٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١١٠ برقم (٨٥٧٤)، وابن المبارك في الزهد ١/ ٣١٣، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن القيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٠٥. وقد سبق أن مر معنا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ١٨٠ برقم (٢٠٢٦٧)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٢٧ والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٦٢٦٤ وقال المحقق لجامع شعب الإيمان: إسناده: رجاله ثقات ١٢/ ٨٠.

عذرًا فلم يقبله »[١].

رابعاً: المبادرة بالعلاج:

عندما نقول: على الشباب ألاَّ يسارعوا بالاتصال بالمنتكس؛ لا يعني هذا بعد فترة زمنية طويلة، من أسبوع إلى عشرة أيام على سبيل المثال كحد أقصى؛ فالمبادرة بالعلاج قد تحمي الشاب من الانخراط في بيئة أخرى قد تكون سيئة، والتأخر الزائد بحجة: دعه يرجع بنفسه من خلال إعطائه فرصة للتفكير؛ أمر في غاية الخطورة ؛ لما يخشى من ترتب آثار عليه كشرب الدخان وتأخره عن أداء الصلاة، بل قد يقوده التأخر إلى مراحل أخرى كتعاطي المخدرات وترك الصلاة بالكلية.

لذا فالمبادرة بالمناصحة أمر في غاية الأهمية.

خامسًا: الدعاء له بظهر الغيب وألا يكون عونًا للشيطان عليه:

إن على الأخ الذي سيذهب لمناصحة أخيه المنتكس أن يدعو له بظهر الغيب من قلب صادق ونية خالصة بأن يهديه الله إلى الحق .

قال ﷺ: « **ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل**»[٢].

لقد كان منهج الصحابة – رضوان الله عليهم – التعامل مع أحداث

---

(١) انظر الجامع لشعب الإيمان ٢٠/ ٣٦٢ رقم (١٠٦٨٤).

(٢) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب حديث رقم (٦٨٦٤).

الانتكاس بطرق طيبة ؛ فهذا عمر - رضي الله عنه - «الذي اشتهر بالقوة، يستخدم الرقة في موطنها ؛ وذلك بأن رجلاً كان ذا بأس وكان يفد إلى عمر، وكان من أهل الشام، وإن عمر فقده، فسأل عنه، فقيل له: تتابع في هذا الشراب: فدعا كاتبه فقال: اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير. ثم دعا وأمن من عنده، ودعا له أن يقبل علىالله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما أتت صحيفةُ الرجل جعل يقرأها ويقول: غافر الذنب قد وعدني الله أن يغفر لي، وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني الله عقابه، ذى الطول والطول الخير الكثير لا إله إلا هو إليه المصير. فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره فقال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه»[1].

فانظر إلى منهج أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - كيف كان حليمًا رقيقًا مع ما عرف عنه من قوة وشدة، ولكن لكل مقام عنده مقال ؛ فهذا لزمت هذه السنن واقتديت بهؤلاء القمم.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٨٠ برقم (٦٢٦٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩٨/٤، وعبد بن حميد في الدر المنثور ٧/ ٢٧٠ - ٢٧١، وأورده ابن كثير في بداية تفسير سورة غافر، تفسير الآية الثانية ٧/ ٣٠٦٤.

وقال محقق الشعب: إسناده حسن، انظر الشعب ١٢/ ٨٠.

سادساً: استقصاء أسباب انتكاسه:

قبل زيارتك لصاحبك الذي طرأ عليه التغير حاول أن تتعرف على الأسباب التي قادته إلى هذا الطريق، وستظهر فائدة هذا من خلال ما يلي:

أ- إن كانت عنده مشاكل فستطرح له حلولاً لها، فقد يطرح لك مشكلة عائلية أو دراسية أو مادية أعاقته عن هذا الطريق.

ب- الإجابة عن أسئلته ؛ إن كانت هناك أسئلة والتهيؤ لإجابات مقنعة لأسئلة متصورة ومفترضة.

جـ- الإجابة عن شبهاته والاستعداد لها استعدادًا جيدًا، فغالب المنتكسين لا يخلو من هذه الأمور حتى ولو لم يكن مقتنعًا بها، لكن من باب إغلاق الطريق على المناقش، فالاستعداد مهم.

فلا بد بعد تكرار الزيارة له أن تطرح عليه سؤالاً: ما الذي دفعك لترك هذه البيئة؟

فقد يقول مثلاً: فلان يسيء إليّ، أو شيخي لا يحبني، أو أخشى على دراستي، وما شابه ذلك، وكما ذكرت سابقًا أن الاستعداد لأسئلته المتوقعة أمر لا بد منه.

سابعاً: عدم الوقوع في عرضه:

هناك من الشباب من لا يتردد بالوقوع في عرض أخيه المسلم المنتكس، بل ويجاهر في هذا السب والولوغ في عرضه، ثم يفكر بعد ذلك بزيارته ومناصحته، وقد تكون الأخبار قد وصلت إلى هذا المنتكس، مما يجعله عند زيارتك له يفاجئك بهجوم فقد من خلاله السيطرة على أعصابه وتصرفاته،

إن وقوع الشباب بعرض أخيهم بمجرد حدوث تغيرٍ عنده أمرٌ في غاية الخطورة، إن من أكبر المشاكل التي تواجه الشباب، التسرع في الحكم على زميلهم بالانتكاس مع التشهير به، ثم يحرجون بعد ذلك عن مواجهته، بل قد يمتنعون عن مناصحته حياءً مما بدر منهم أو خوفاً من ردة فعله، ولذا انصح نفسي وأحبائي بالبعد عن الوقوع في الأعراض، مع عدم التسرع في الحكم، إن مجرّد سب الأخ المسلم يُعد فسوق، لقوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[1].

إنني أنصح أن لا يبادر بنصيحة المنتكس شاب وقع في عرضه إلا بعد الاعتذار إليه، إذا تأكد لديه وصول الخبر إليه، حتى لا تتحولَ المناصحةُ إلى عِراكٍ ومُشاجرةٍ.

ثامناً: اختيار وسيلة الاتصال بالمنتكس لدعوته:

بعد أن تبين وتأكد لديك بأن صاحبك قد ابتلاه الله، وابتعد عن طريق الالتزام فعليك البحث عن الطرق المناسبة للتواصل معه، وعدم الاقتصار على وسيلة واحدة بل عليك أن تبحث عن أكثر الطرق تأثيرًا عليه حتى تمارسها معه، ومن الطرق:

١- الزيارة له في بيته.

٢- الزيارة له في عمله أو مدرسته.

٣- الزيارة له في المسجد الذي يصلي فيه إذا لم يصل إلى مرحلة الانقطاع

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله حديث رقم ١٨.

عن صلاة الجماعة.

٤-الرسائل ولها أساليب:

أ- الشفهية مع قريب له ؛ كأن تقول: بلغ فلانًا السلام مني.

ب- الرسائل المكتوبة، والتى تحمل في طياتها النصح من مناهج السلف؛ كما سيمر معنا خبر عمر - رضي الله عنه – عندما أرسل لصاحبه الذي وقع في الخمر

أن لهذه الرسائل وقع طيب على نفوس الأخوة، وهذه الرسائل قد تكون عبر البريد أو الإيميلات أو الجوال.

الرسائل مجدية ونافعة في الجملة، وأنصح الشباب أن يتواصلوا مع زملائهم ما بين الفينة والأخرى بالرسائل، مع الحرص أن تكون كالملح بالطعام غير مكثفة ولا مكررة حتى لا تكون مملة، ويا حبذا التجديد في الطرح مع الحرص على الاختصار والخط الجميل العبارة الراقية وأبيات الشعر العذبة.

٥-الاتصال الهاتفي أو عبر البلوتوث أو الماسنجر.

تاسعاً: تخيل الموقف والاستعداد له قبل مواجهته:

عليك أن تتأكد قبل الذهاب إلى صاحبك القديم أنك ستشاهد إنسانًا غير الذي تعرفه، قد تلحظ تغير وجهه بإزالة لحيته وإسبال ثوبه أو وجود الدخان بيده، وإن كانت امرأة فقد تجدها أختها الداعية متنمصة أو لابسة ملابس غير محتشمة، أو غير ذلك من الأمور، فعليك أن تحطاط لمثل هذا الأمر، وألا تنصدم، فضع في حسابك أسوأ احتمالات، فقد لا يفتح لك الباب، أو لا

يحسن استقبالك، بل قد يغلق الباب في وجهك عندما يعلم أنك أنت الطارق، فكن مستعدًّا لمثل هذه التصرفات بالحكمة والهدوء ورباطة الجأش والحلم والتأني، فكن حكيمًا عند تصرفك، فتعامل على أنه مسكين أصابه الحياء من مواجهتك، وليس المقصود شخصك، بل لو جاءه أي شخص لنفس الغرض الذي جئت من أجله لجوبه بمثل مجابهتك، فتقبل الأمر برحابة الصدر، فلا تيأس ولا تقنط، واحذر ردة الفعل المفاجئة؛ فقد تعود من حيث أتيت، ثم تتحين فرصًا أخرى حتى تظفر بالجلوس معه.

وضع التصورات قبل المواجهة أمر في غاية الأهمية؛ لأن هناك من لايجعل هذه الأمور في حساباته، ثم يُفاجأ بعد ذلك بمثل هذه الأمور، فيصاب بصدمة، أو تحدث منه ردة فعل قد تضر به وبزميله.

عاشراً: التهيؤ لمقابلته:

عندما تقوم بزيارة صاحبك المتغير فتهيأ لمقابلته بما يلي:

١- إحضار هدية مناسبة له - إذا كنت تملك القدرة على ذلك - واحرص على ألا تكون أشرطة ولا كتبًا ؛ لأنه الآن بها زاهد ؛ لقوله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»[(١)].

٢- اختيار الكلام المناسب والعبارات بدقة.

٣- احرص على ألا تناقش انتاكسه في مقابلتك الأولى معه، بل قد يكون حضورك وتجاذبك معه أطراف الحديث بعيدًا عن هذا الموضوع دافعًا له

(١) أخرجه البخاري في الأدب حديث رقم (٥٩٤).

وسببًا لعودته، بل حاول إن لم تلحظ عليه تغيرًا في هيئته أو في مظهره ألا تظهر له أنك تعرف شيئًا، بل تعامل معه تعاملاً طبيعيًّا بحيث لا يشعر أن بـه تكلفًـا وتصنعًا. وأذكر حادثة لأحد الإخوة حيث قال: بلغني أن قريباً لي انقطع عـن صلاة الجماعة بالكلية يقول: فـذهبت لزيارتـه، ووصـلت إلى بيتـه قبيـل أذان المغرب، وعند مقابلته والجلوس معه، بدأت بالحديث معه ولم أبـين لـه سـبب زيارتي وعندما، أذن المغرب سألته: ما هو أقرب مسجد إلى بيتـك؟ مبالغـة في إظهار أنني لا أعرف عن انقطاعه عن الصـلاة بالكليـة ؛ فاختـار لـي مسـجدًا فألقيت فيه كلمة لم أتعرض فيها إلى الصلاة مطلقًا، حتى لا أشعره بالحرج، بل اخترت موضوعًا عن الرقائق وبعد ذلك عدنا إلى بيته، ومكثت معه قليلاً، ثـم ودعته. يقول: فوالله الذي لا له إلا هو ما هي إلا أيام قلائل إلا وقد أخبرنـي أحد جماعة مسجده بأنه أصبح مواظبًا على الصلاة. يقول: وبعد مدة أخبرنـي هذا الرجل بأنه قد أعفى لحيته وأصبح يحضر مـع الأذان. يقـول بعـد فـترة لا تجاوز شهرين تعلق قلب قريبي بالمسجد، ثم أصبح مؤذنًا له عند غياب المؤذن؛ فزرته حيث أخبرني أحد جيرانه بأنه أصبح مرابطًا في المسجد من بعد المغـرب إلى العشاء ؛ يقول: فذهبت لزيارته في المسجد، وعندما دخلت إلى المسجد فإذا برجل يتلو القرآن بصوت ندي ؛ قلت: السـلام علـيكم ورحمـة الله وبركاتـه، فالتفت إليّ لما عرفني فنهض ليعانقني، وقال: لقد أثـرت فيّ زيارتـك الماضـية، وكان أكثر ما أثر بي أنك لم تفتح معي الموضوع ؛ فلو كنت فتحته معي لكنـت أحرجتني، ولا أظن أنني كنت سأعود.

فهذا الموقف الذكي من الداعية والنصيحة غير المباشرة كان لها – بفضل

الله – أثر عظيم، وهنا أؤكد على الداعية عند المقابلة الأولى عدم طرح الموضوع بالكلية.

الحادي عشر: إشعاره بأنك محب له وحريص على هدايته:

عندما تقوم بزيارة أخيك، فاظهر حبك الشديد له وحرصك عليه، وبأن الهداية لو تباع لاشتريتها له، وكن به شفيقًا متأسيًا بنبيك ﷺ حيث قال تعالى عنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾[1]﴾.

بل بلغ من تصوير حرصه على أمتك أن قال ﷺ: « **إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا ؛ فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه**»[2].

فإظهار حبك له وحرصك عليه لا شك أن أثره سيكون قويًّا.

الثاني عشر: لا تتوقع أن يستجيب لك فورًا:

من الأمور المهمة أن لا يعتقد زائر المنتكس أنه سيجد ذلك الشخص الذي يعرفه بصفاء نفسه وسلامة قلبه وأن لا يعتقد بأنه لن يعود إلا والأوضاع جميعها طبيعية، بل عليه أن يحسب ألف حساب لصعوبة المهمة ؛ لأن المنتكس قد عاش أجواء أثرت عليه، وجعلت الران يتمكن من قلبه، لذا

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) رواه مسلم كتاب الفضائل باب شفاعته ﷺ على أمته، حديث رقم (٢٢٨٤).

لا تتوقع الاستجابة الفورية، أو أن يعود إلى الحق ويتراجع عن وضعه بمجرد زيارتك له، نعم قد يظهر لك نوع من الاستجابة فاقنع بها ؛ لأن القليل مع التواصل والدعاء والصدق سيزيد بإذن الله، وعليك قبول عودته ولو ظهرت عليه آثار ضعف الاستقامة كتخفيفه من لحيته، أو غير ذلك من المعاصي لأنه سيتلاشى بإذن الله مع مرور الوقت وتأثره بالصحبة الطيبة.

الثالث عشر: عدم التشديد عليه.

إن من الحكمة أن يُعلم المنتكس أن المطلوب منه هو ما افترض الله عليه، وأن يوضح له أنه متى فعل ذلك فإنه يعد من أهل الهدى والاستقامة، ويخبره بالحديث الذي رواه البخاري وغيره أن الرسول ﷺ قال: « **إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه..**» [1].

كما على من يقوم بدعوته أن يخفف الضغط عليه، ويبشره بأنه على خير عظيم ما التزم بهذه الفرائض، ويخفف عنه مصابه، ويؤكد له أنه يعيش وضعًا طبيعيًّا، وسرعان ما يعود بإذن الله إلى الهدى إذا أخلص نيته وصدق مع ربه، ويذكر بقوله ﷺ: «**إن لكل عابد شِرَّة، ولكل شِرَّة فَترة، فإمَّا إلى سُنة، وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة، فقد اهتدى، ومن كانت فترتُه إليَّ غير ذلك، فقد هلك** » [2].

(١) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع حديث رقم (٦٥٠٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند حديث رقم (٦٤٧٧)، (٦٩٠٨) وللحديث ألفاظ وروايات متعددة وردت =

والشِّرة: معناها الحرص على الشيء والنشاط له. والفترة، ضده، أي: العابد يبالغ في عبادته أول الأمر، ويجد في نفسه قوة على ذلك وشوقاً ورغبة فيه، وكل مبالغ فلابد أن تنكسر همته، وتفتر قوته عن ذلك الجد عادة، فمنهم من يرجع حين الفتور إلى الاعتدال في الأمر، وترك الإفراط فيه، فهذا مهتدٍ، ومنهم من يرجع حين الفتور إلى ترك العبادة بالكلية، والاشتغال بضدها، فهذا هالك والله ـ تعالى ـ أعلم [(١)].

ثم يخبر بأن المطلوب أن يرجع بعد هذا الفتور إلى الاعتدال حتى يكون مهتديًا، ولا يكون حاله كحال من قاده الفتور إلى ترك العبادة بالكلية، بل والأخطر منه أن ينشغل بغيرها، فهذا قد وقع في الضلال، ويبين له ما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: « إن لهذه القلوب إقبالاً وإدبارًا. فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض » [(٢)].

الرابع عشر: استمرار التواصل:

وهذا قد يكون سبق ذكره، ولكن هنا من باب المزيد من الإيضاح، فلا بد للمربي أن يتواصل مع تلميذه المنقطع وألا يكتفي بزيارة أو زيارتين، أو رسول أو رسولين، بل لا بد من استمرار التواصل، وعدم الانقطاع، فإن نفسه

=

في كثير من دواوين الإسلام، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين كما قال شعيب. الموسوعة ١١/ ١٠.

(١) انظر: حاشية الموسوعة الحديثية ١١/ ١١.

(٢) وجدته في مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ١٢٢ ولم أجده عند غيره بعد بحث وتقص.

التي لم تتقبل اليوم قد تتقبل في الغد، فعدم اليأس أو القنوط مطلب ملح، ومنهج سار عليه الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الخامس عشر: عليك بالعتاب الهادئ والنصيحة الصادقة، والبعد عن العنف والتجريح واللوم والعتاب، فأنت طبيب سيعالج قلب هذا المريض، وتحمل بيدك مشرطًا وهو لسانك، فاجعله هادئًا لينًا، فالطبيب عندما يعالج مرضاه فإنه يستخدم مشرطه الجراحي بهدوء وحذر ورفق حتى تنجح عمليته، فلو استخدم القوة والعنف لمات المريض من مشرطه، والناس - وربي- أحوج إلى هذا المنهج في أمراضهم المعنوية.

وتأمل أمر الله لموسى وهارون بأن يُستخدما مع أكبر طاغية على وجه الأرض أسلوب الرفق: قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[(١)].

فإذا كان فرعون مع طغيانه وجبروته يأمر الله نبيه موسى وهارون بأن يتعاملا معه باللين فكيف بأخ لك ابتلاه الله ؛ أليس هو أولى باللين وأجدر؟

إن الرفق عند مخاطبة المنتكس مطلبٌ شرعي، ولذا قال ﷺ: « **يا عائشة عليك بتقوى الله عز وجل والرفق، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولم يُنزع من شيء قط إلا شانه**»[(٢)].

وأذكر هنا قصة حدثت معي حيث كنت أقوم بإلقاء درس أسبوعي في

---

(١) سورة طه، آية: ٤٤.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم (٥٨٠)، وأخرجه أبو داود حديث رقم (٢٤٧٨)، وأخرجه أحمد في المسند حديث رقم (٢٤٣٠٧) وقال شعيب في الموسوعة: حديث صحيح ٤٠/٣٥٣.

السجن المثالي «سجن الملز» بالرياض منذ عشر سنوات، ولاحظت عند أحد السجناء حرصًا شديدًا على الدرس يفوق غيره فضلاً عن اجتهاده في الحفظ للمتن الذي كنت أقوم بشرحه، وعندما لاحظت ذلك انفردت به أحد الأسابيع وسألته عن سبب سجنه لعل الله أن ييسر الإفراج عنه، فأخبرني بأنه كان مع مجموعة من الشباب لاحظوا انتكاس أحد رفقائهم قال: فذهبت لمناصحته فأثار غضبي فقمت بضربه، وكانت نتيجة هذه المضاربة أن كسرت يده، وهذا هو الذي قادني إلى السجن.

فهذا الأخ سلك أسلوب العنف فأضرَّ به وأضرَّ بالمدعو، مع يقيني التام أن العنف باستخدام اليدين أندر النوادر، بل لا يجوز شرعاً وقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز للإنسان أن يأخذ حقه بيده، فكيف بمن يستخدم يده في حق الله وهو ليس مأمور إلا بالإنكار باللسان أو القلب، ولكن العنف باستخدام اللسان شائع ومنتشر.

والخلاصة:

١- إن على الداعي عندما يخاطب زميله المنتكس أن يتعامل معه بهدوء.

٢- أن يقابله بابتسامة وممازحة؛ لأنه عند مقابلته سيكون خائفًا وجلاً؛ فتبعث ابتسامتك مع إشراقة وجهك فيه الراحة والاطمئنان، وستبعد عنه الخوف والوجل.

السادس عشر: تصحيح بعض المفاهيم عنده:

بعض الشباب ينقطع عن زملائه ويظن أن الدين والتدين محصور بفئة

معينة من الشباب، فتواجهه مشكلة مع الشيخ أو المشرف أو أحد زملائه، ثم يترك الالتزام لاعتقاده أن الالتزام محصور بهذه المجموعة، فعلى المربي أن يفتح لتلميذه الذي لم يوفق معه آفاقًا واسعة، وألا يربطه بشخصه الكريم وكأنه أحد أفراد عائلته الذين يجب أن يظلوا معه لا يغادرونه أبدًا، فكم من شاب ترك مجموعته ثم أبدع مع غيرها، فالأنفس قد تتوافق مع أنفس أخرى وتتلاءم مع بيئات غير بيئاتها التي عاشت معها وكما قال الحكم:

العنبر الخام روت في مواطنه   وفي التغرب محمول على العنق

فعلى المربي أن يقترح عليه مجموعة غير مجموعته إذا رأى بأنها هي الحل لمشكلته.

السابع عشر: إخباره بأن الجميع معرّض للوقوع في الذنب:

عليك أن تؤكد لهذا الذي وقع في الذنب أنه ليس أول واقع ولا آخر من وقع، وإن الوقوع في الذنوب صفة بشرية؛ فقد قال ﷺ: « **لو لا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون؛ فيغفر لهم**»[١].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**»[٢].

فتحثه هنا على الاستغفار، وبأن الله سبحانه وتعالى يحب عبده الذي يتوب بعد الذنب، وليس المقصود هنا الحث على الذنب، بل الحث على

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٩).

الاستغفار بعد وقوع الذنب، ويستحسن تذكيره بألا أحد يسلم من الذنب، كما يستحسن أن تساعده ببيان فضل التوبة وفرح الرب بذلك، لقوله ﷺ: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده.....**»[١].

ففي هذا الأسلوب تخفف عنه مصابه وتشجعه على التوبة، وحبذا أن تذكره بأخبار التائبين من ذنوبهم ؛ قال علي بن الفضل:

أيا من لا يخيب لديه راج ... ولم يبرمه إلحاح المناجي

ويا ثقتي على سرفي وجرمي ... وإيثار التمادي في اللجاج

أقلني عثرتي واغفر ذنوبي ... وهب لي منك عفوًا واقض حاجي

فما لي غير إقراري بجرمي ... وعفوك حجة يوم احتجاجي[٢]

وكما قال يحيى بن معاذ الرازي:

جلالك يا مهيمن لا يبيد ... وملكك دائم أبدًا جديد

وحكمك نافذ في كل أمر ... وليس يكون إلا ما تريد

ذنوبي لا تضرك يا إلهي ... وعفوك نافع وبه تجود

فهبها لي وإن كثرت وجلت ... فأنت الله تحكم ما تريد

فلست على عذاب الله أقوى ... وأنت بغيرها لا تستقيد

فنعم الرب مولانا وإنا ... لنعلم أننا بئس العبيد

(١) الحديث رواه البخاري رقم (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٧).

(٢) انظر الجامع لشعب الإيمان (١٢/ ٥٥٥).

ويـــنقص عمرنـــا في كـــل يـــوم ... ومـــا زالـــت خطايانـــا تزيـــد
قصـــدت إلى الملـــوك فكـــل بـــاب ... عليـــه حاجـــب فـــظ شـــديد
وبابـــك معـــد للجـــود يـــا مـــن ... إليـــه يقصـــد العبـــد الطريـــد [1]

الثامن عشر: فتح باب التوبة له:

عندما يوفقك الرب – عز وجل – بسلوك هذا الطريق العظيم ؛ فعليك أن تفتح لهذا المبتلى باب التوبة، وتذكره بأن الكل يخطئ ويذنب، وبأنه ليس أول من أذنب حتى يفعل بنفسه ما يفعل، بل الذنوب يجب أن تقوده إلى التوبة لا إلى ذنوب أخرى ؛ كما عليك أن تذكره بالآيات والأحاديث التى تحث على التوبة، وتبين حقارة الذنب عند التوبة فمثلاً:

١- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[3].

٣- قال ﷺ: « **أذنب عبد ذنبًا. فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد**

---

(١) انظر (الجامع لشعب الإيمان) (١٢/ ٥٥٥-٥٥٦).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

فأذنب ؛ فقال: أي رب اغفر لي ذنبي ؛ فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لي ذنبي ؛ فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبًا ؛ فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ؛ اعمل ما شئت فقد غفرت لك »[(١)].

فأنت هاهنا تخفف عنه مصابه، وتهون عليه من الأمر، وتفتح له الأبواب التي كانت بالنسبة له مغلقة، وهذا منهج الرسول ﷺ ؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل فقال: يا رسول الله هلكت ؛ قال: «**مالك؟**» قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم – وفي رواية: أصبت أهلي– فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» فقال: لا...» الحديث[(٢)].

فأنت تلحظ أن هذا الرجل قد جاء وجلاً إلى النبي ﷺ، بل في رواية عند مسلم أنه قال: « احترقت يا رسول الله »[(٣)].

بل في رواية مرسلة في الموطأ: « جاء أعرابي يضرب فخذه وينتف شعره يقول: هلك الأبعد»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ حديث رقم (٧٥٠٧)، وأخرجه مسلم، كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب حديث رقم (٢٧٥٨) واللفظ له.

(٢) البخاري أطرافه في الفتح (١٩٣٦)، ومسلم(١١١١).

(٣) مسلم حديث رقم (١١١٢) .

(٤) انظر الموطأ ٢١٧/١، والبيهقي ٤/ ٢٢٥ مع أن العمدة على الأحاديث الموصولة أولى وأوجب.

فانظر إلى أسلوب تعامل النبي ﷺ مع هذا المذنب ؛ لم يوبخه، ولم يعاقبه ولم يقنطه، بل سارع لبحث طرق علاج مشكلته للتخلص من آثار ذنبه، بطرح أنواع الحلول حتى يختار منها المناسب، لقد فتح له أبواب الأمل، بل جاءه قانطًا خائفًا فحوله النبي ﷺ آمنًا مبتسمًا غنيًّا، هكذا يجب أن يفعل الدعاة مع المذنبين التائبين، يفتحوا لهم أبواب الخير وبوارق الأمل، وألا يكونوا منفرين ولا زاجرين، فالناس تحتاج رقة وعطف لا توبيخ وعنف.

التاسع عشر: بذل الجهد لرفع إيمانه:

عندما تقوم بزيارة صاحبك المنتكس عليك أن تتذكر بأن الإيمان يزيد وينقص، وبأن صاحبك قد نقص إيمانه بلا شك، وعليك أن تبذل جهدك لرفع مستوى الإيمان عنده، وكن واثقًا من ذلك، وضع لذلك برنامجًا يتناسب مع سنه وفكره وليكن بشكل تدريجي غير متكلف، وتلقائي غير متعمد، ونبدأ مثلاً بعرض فكرة أداء العمرة، والحج، ونقترح عليه زيارة بعض الصالحين من العلماء والعباد والتجار، ولا مانع من زيارة المقابر فهذه من وسائل رفع الإيمان التى تؤثر بحول الله وقوته إذا نفذت بشكل محكم بالتعاون مع بعض المقربين إلى قلبه.

العشرون: تذكيره بمحاسن الدين والاستقامة:

على من يخاطب المنتكس أن يبين له فضل الدين والاستقامة.

قال القحطاني – رحمه الله –:

الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

وقول عياض – رحمه الله –:

ومما زادني شرفًا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي بنيّا

على من يخاطب المنتكس أن يذكره بفضيلة الدين ومحاسن الإسلام وفضل الاستقامة، ويذكره بأن من أعظم النعم عليه أنه مسلم، ويذكره بالجنة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[1] آخر القمر، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[2] .. إلى نهاية الآيات من سورة النبأ وغيرها من الآيات.

الحادي والعشرون: تذكيره بالأيام السعيدة السابقة مع الصحبة الطيبة:

عندما تقوم بزيارة صاحبك المنتكس عليك أن تحاول أن تسترجع المواقف السعيدة التي عاشها مع زملائه، ثم قم بسردها عليه بأسلوب خفيف وممتع دونما إشعاره بتعمدك ذلك واحذر أن تتكلف بذلك، بل حاول أن تجعلها جاءت بشكل تلقائي؛ فلها بإذن الله وقع طيب على من ابتلي بنقص إيمانه وضعف تدينه، كما أحذرك من تذكيره بما كان يحدث له من مشاكل أو ما كان يناله من عقاب عند حدوث أخطاء منه لأن هذا الأسلوب يزيد من نفوره وسيجعله أكثر إصرار على استمرار انتكاسته.

إن هذا الأسلوب له وقع عجيب ومفعول سريع بإذن الله بإعادة

(١) الآيات ٥٤، ٥٥ من سورة القمر.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

الصاحب إلى أصحابه، وأعيد وأؤكد بأن الأسلوب هو الذي يحدد أثر هذا الفعل ونتائج هذا اللقاء.

الثاني والعشرون: فتح آفاق جديدة له:

هناك من الشباب من يربط الاستقامة بأشخاص معينين أو يظن أن لا استقامة إلا معهم وهنا تحدث الإشكالية؛ ولذا أقدم النصائح التالية:

أيها المربي الكريم إذا كان لك تلميذ لم يرتح مع المجموعة التى رزقك الله الأشراف عليها، فلم يتجانس مع أفرادها ولم تلتق الأرواح مع روحه؛ فعليك إذا لم تنجح بإصلاح وضعه مع المجموعة أن تفتح له آفاقاً جديدة كنصحه بالانضمام إلى مجموعة أخرى قد يوفق معها، وعليك أن تكون الوسيط له بذلك متى وجدت عنده الرغبة.

إذا كان الشاب ليس مع مجموعة طلابية بل مع صحبة لا قائد لها ؛ فعلى زملائه نصحه بالانضمام لغيرهم عندما يجد عدم تجانسه معهم بأسلوب طيب، ولا يفهم منه ولا يشم الإبعاد والطرد بل عن طريق الذهاب مع مجموعة إلى رحلة ؛ فإذا ارتاح لهم سوف يحاول الانضمام إليهم بنفسه وهكذا.

إذا كان الانتكاس من رجل عادي ليست له مجموعة فعلى المقربين له الاقتراح عليه بالانضمام إلى رفقة صالحة والسعي له بذلك.

كما أن على المنتكس أن يعيد النظر في النشاط الدعوي الذي يمارسه أو النافلة التي يحرص عليها، فقد يكون يمارس نشاطًا دعويًا يحتاج إلى نفقة مادية لا تلائم ظروفه المادية ؛ فمثلاً نشاطه توزيع كتيبات وأشرطة ؛ فهذا انصحه بالتحول إلى نشاط آخر لا يكلفه ماديًا شيئًا، وهناك من يمارس عبادة لا

يستطيع المواظبة عليها وعند تخليه عنها تنعته نفسه بالنفاق ثم يترك الدين من جراء ذلك ؛ كمن يقوم الليل أو يصوم النفل، وعليه أن يتنبه له دائمًا بأنها نوافل لا إثم بتركها والله الموفق؟

وفي الختام: هذا هو المنهج الذي اخترته عند التعامل مع المنتكس، مع التشديد على أن لا يشهَّر به ولا يسب ولا يشتم ولا يشمت به، عسى الله أن يهديه وأن يردنا إليه ردًّا جميلاً.

الثالث والعشرون : عدم المواجهة المباشرة مع المربي فى أول الأمر :

يحمل الشاب في قلبه هيبة لشيخه في الغالب، ويصاب بالحرج عند مواجهته، ولذا فمن الأفضل عند انقطاع الشاب ألا يتجه شيخه وأستاذه إليه مباشرة لمناقشته ومناصحته، خشية أن يتصرف الشاب معه تصرفًا مشينًا يصعب بعد ذلك عليه تصحيحه كتهربه منه أو تلفظه عليه.

إن التصرفات التى لا يدرك الشاب المنتكس آثارها في بداية انتكاسه وسوء تعامله مع زملائه قد تحول بينه وبين العودة إليهم مستقبلاً، وتزداد الأمور صعوبة عندما تكون هذه التصرفات مع الشيخ أو المربي أو الأستاذ، مع العلم بأن هؤلاء الفضلاء لا تؤثر فيهم مثل هذه التصرفات لعلمهم بأن لكل مرحلة حكمها، ولكن الخوف ألا يفهم الشاب المنتكس موقف الشيخ من تصرفاته وقدرته على التحمل وعدم عتبه على تصرفات تلميذه في مثل هذه المواقف لأنه مر بتجارب سابقة أو سمع بتجارب لغيره من الدعاة، وهذا الذي يدفعني إلى القول بأن على الشيخ ألا يقوم بزيارة التلميذ؛ فأول مرة يدعها إلى أقرب زملاء الشاب إلى نفسه حتى يهيأ الشاب إلى مرحلة أفضل،

ثم يزوره بعدها الشيخ إما بترتيب مسبق أو بشكل مفاجئ على حسب الظروف والمعطيات.

الرابع والعشرون: عليك عندما تتعامل مع منتكس، أن تنظر في أحواله من خلال معرفة بيئته وعمره.....إلخ.

أ ـ مسألة العمر:

بعض المربين مع الأسف الشديد يضخم الأمور ويعطيها أكبر من حجمها الطبيعي ؛ فمثلاً تجده يحوقل ويسترجع عند حدوث التغير من شاب صغير لم يناهز الحلم، ولم يعرف بعد معنى الاستقامة، فيعطي لتراجعه تهويلاً أكبر من حجمه الحقيقي، بل يصور حالته بأكبر مما تستحق، ويضخم الأمر مع أن من حدث عنده التغير لم يبلغ حتى المرحلة المتوسطة، أو لم يزل بعد في بدايتها، و هذا الاهتمام والنقاش الزائد مع هذا الغلام يؤثر سلبيًّا على هذا الغلام خاصة عندما تعقد له الجلسات المتتابعة لمناصحته ومناقشته من قبل المربي أو بقية أفراد المجموعة، إنني على يقين بأن المربي الذي يفعل مثل هذا منطلقه الحب والحرص، ولكن قد يغيب عن تفكيره الجوانب السلبية، ومنها مثلاً: قد يُغري هذا الاهتمام الزائد بعض أقرانه ليفعلوا مثل ما فعل لينالوا مثل ما ناله من عناية واهتمام وجلسات وزيارات لعدم معرفتهم بنعمة الاستقامة .... إلخ.

ب- مراعاة البيئة:

إن مراعاة البيئات وخاصة البيئة الجاهلة، بفضل التدين والاستقامة، التي

قد تكون ضغوطها على الشاب أكبر من طاقاته وقدراته، على التحمل، فعلى المربي مراعاة هذا الجانب باستخدام أساليب تحفظ لهذا الشاب توازنه حتى يمكن أن يتعايش مع مجتمعه فمثلاً: عندما يكون الشاب في بيئة ثرية، ومن عادات الأهل السفر إلى البلاد الغربية لقضاء الإجازات الصيفية هناك، مع بعدهم عن التمسك بتعاليم الدين؛ لأن أفراد الأسرة يعيشون بحالة متردية من الناحية الدينية، فإن التدين المتوقع من هذا الشاب لا بد أن يكون أقل من زملائه نظرًا لتأثير البيئة، قال ﷺ: « **إنكم في زمان ؛ من ترك منكم عشر ما أُمر به هلك، ثم يأتي زمان، من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا**»[١].

قال في التحفة في شرح هذا الحديث: « إنكم أيها الصحابة في زمان متصف بالأمن وعز الإسلام ؛ فمن ترك عشر ما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن منكر فقد وقع في الهلاك ؛ لأن الدين عزيز وأنصاره كثر، فالترك تقصير، فلا عذر، ثم يأتي زمان يضعف فيه الإسلام ويكثر الظلم ويعم الفسق ويقل أنصار الدين، وحينئذ من عمل منهم (أي من أهل ذلك الزمن) بعشر ما أمر به نجا ؛ لأنه المقدور، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾»[٢].

فالتعامل مع الشاب المنتكس من هذه البيئة حبذا أن يكون مختلفًا عن التعامل مع منتكس في بيئة أخرى، فلا يطلب منه ما يطلب من غيره، ويقبل

(١) أخرجه الترمذي وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد، عن سفيان بن عيينة قال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد حديث رقم (٢٢٦٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٥٠٨.

(٢) تحفة الأحوذي ٦/ ٤٥٠

منه اليسير حتى يفتح الله عليه وعلى أهله، ولأن وضعه بعد استقامته قد يعادل وضع بعض المتكسين من بيئات أخرى.

الخامس والعشرون: استقباله عند العوده:

من المنتظر أن يكون للجهود المبذولة دور في إعادة الشاب إلى زملائه، كما عليك أن تتأكد بأن هناك من الشباب من يحرصون على العودة إلى زملائهم بعد انقطاعهم من جراء شعورهم بالملل والفراغ، ولكن الخوف من المواجهة الأولى للشاب مع شيخه أو زملائه يمثل هاجسًا وقلقًا عند الشاب، ولذا قسمت هذا المبحث إلى قسمين:

الأول: الزيارة المرتب لها بين المتكس وشيخه أو أحد زملائه، وهذه الزيارة من المفترض أن يتم التعامل معها وفق الأمور الآتية:

أ- يستقبل استقبالاً عاديًا بلا تكلف وكأنه موجود بالأمس إذا كان هذا الشاب قد عرف بحيائه وخجله من مثل هذه المظاهر، إن جعل مثل هذا الشاب في موقف حرج بحيث يكون استقباله ملفت للأنظار أمر يصعب عليه تقبله، بل قد يجعله يفكر ويتردد قبل الزيارة، ولذا على من رتب لهذه الزيارة التعهد له بذلك والترتيب المسبق مع الشباب حتى يوفي بالعهد، وإن كان الشاب لا يعرف بالخجل في مثل هذه الأمور ؛ فيكون الاستقبال على حسب الظروف، وإن كنت أحبذ أن يكون التعامل معه كالسابق إذا كانت هذه العودة وفق اتفاق مسبق ؛ لأن التكلف بالاستقبال والتصنع أمر غير مقبول.

ب- عدم إحراجه بطرح أسئلة من قبل زملائه موجهة له مثلاً: أين كنت

في الفترة الماضية؟ هل صحيح ما سمعنا عنك؟ لماذا انقطعت؟ هل بدر منا ما دفعك لهذا؟ إلى غير ذلك من الأسئلة.

إن المربي المحنك هو الذي يجتمع بالشباب قبل زيارة زميلهم لهم، ويقوم بتحذيرهم من مثل هذه الأمور مع التأكيد عليهم بأنهم عرضة للوقوع بمثل ما وقع به، ويؤكد عليهم الابتعاد عن:

١- التكلف والتصنع عند الاستقبال، وإعطاء الأمر أكبر من حجمه الطبيعي.

٢- طرح الأسئلة الاستفسارية عن غيابه وعن أيامه الماضية ماذا صنع بها.

جـ- حبذا لو تم اختيار البرنامج المناسب عند عودته لوضعه كشاب، وأضرب على ذلك أمثلة:

١- إن كانت العودة قد ظهرت منه بدون إلحاح ولا ضغط، بل جاءت من رغبة صادقة منه وتوبة ظاهرها الصدق وهو قد عرف بالجد فاقترح أن يعود وفق برنامج قوي كحفظ القرآن أو درس علمي أو الذهاب لحضور محاضرة، أو لقاء مع أحد أهل العلم.... إلخ.

٢- إن كانت عودته متزعزعة وضعيفة من المناسب أن تكون عودته في وقت استجمام عند الشباب وترويح عن النفس ؛ حتى يشعر بلذة الجانب الترويحي مع الرفقة الطيبة والصحبة الصالحة، وحتى يشعر بقيمة ما فقده في فترة ابتعاده عنهم، ولا حرج على الشباب أن يمرحوا ويفرحوا أو يستجموا

بما أحل الله، وكما قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: إني أستجم ببعض الباطل ليكون أنشط لي في الحق[1].

ولا يقصد هنا اللهو الباطل المحرم فحاشاه أن يقصد ذلك، بل يقصد اللهو المباح والذي يسمى باطلاً كما جاء في الحديث: « **كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رمية بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق**»[2].

إذا كان هذا الصحابي الجليل يمارس اللهو المباح من أجل إراحة نفسه ودفعها للجد من باب أولى من عداه.

إن عودة الشاب ضعيف التدين في وقت رحلة ترفيهية أمر في غاية الفائدة له.

القسم الثاني: الموقف في التعامل من الزيارة المفاجئة التي قام بها المنتكس لزملائه من غير ترتيب مسبق ولا توقع لمثل هذه الزيارة:

إن بعض المنتكسين قد يعودون من تلقاء أنفسهم بدون إشعار مسبق أو دعوة وجهت له أو زيارة مرتقبة، بل جاءت من مبادرة من تلقاء نفس الشاب بالعودة إلى زملائه، وهنا من المناسب أن يكون الاستقبال له استقبالاً حارًّا، مع عدم مساءلته أو فتح أي حوار عما مضى، بل يكون ترحيبًا مع القيام لاستقباله ومعانقته حتى يظل أثره على نفس الشاب طيباً، وحتى يعرف قيمة الوفاء عند الشباب.

---

(١) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٤٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦/ ٥٠١.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم ١٦٣٧ وقال عنه: حسن صحيح وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي حديث ١٦٣.

إن الفرح بتوبة الشاب وعودته إلى الرفقة الصالحة أمر محمود وأثره على العائد طيب، بل هذا كعب بن مالك - رضي الله عنه - يحدث بعد فترة عن أثر قيام طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - له عند توبة الله عليه بعد قبولها ؛ فيقول: «انطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجًا فوجًا، يهنئوني بالتوبة يقولون: هنيئًا لك توبة الله عليك، حتى دخلت أسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة »[(١)].

فانظر إلى أثر استقبال طلحة على قلب كعب وتأثيرها على مشاعره، فالشباب من باب أولى.

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك رقم ٤٤١٨.

الخاتمـــــة

وفي الختام أدعو جميع الشباب أن يقرؤوا منهج الصحابة في التعامل مع الشائعات من خلال منهجهم في التعامل مع حادثة الإفك التي انتشر خبرها بين الآلاف من الصحابة ولم يصدقها أحد منهم، وإنما روج لها ثلاثة نفر نالوا عقابهم، في حين رفض بقية الصحابة مجرد المناقشة في هذه القضية، وذبوا عن عرض عائشة رضي الله عنها، بما فيهم ضرتها زينب بنت جحش رضي الله عنها، مع أن وقوع الضرة في عرض ضرتها أمر متوقع، ولكن زوجة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها أثنت على عائشة رضي الله عنها، ورفضت أن تصدق مثل هذا الخبر عنها، فكانت مدرسة على أبناء الأمة أن يستفيدوا منها، فكانت هذه الحادثة منهجاً على المؤمن أن يستفيد منها في كيفية التعامل مع الشائعات.

فهرس الموضوعات

الصف والإخراج، مركز مدار المسلم
الرياض ـ هاتف: ٤٩٣١١٤٩ ـ جوال: ٠٥٠٣١٦٣٠٧٩